شوق وحنين

.....لمحمود سامي البارودي

غاية ما يقال فيه إنه رب السيف والقلم، وإنه باعث النهضة الشعرية الحديثة، وواضع الأساس الأول في بناء صرح الشعر العربي الحديث بعد عهود طويلة من الضعف والانتكاس.

وشعر البارودي (١٨٣٩- ١٩٠٤) هو حياته كما يقول الدكتور محمد حسين هيكل في المقدمة التي كتبها لديوانه. كل قصيدة فيه صورة لحالة نفسية من حالات الشاعر، والديوان في مجموعه صورة للعصر الذي عاش فيه وللبيئة التي أحاطت به وللنهضة المتوثبة في الحياة حوله، وللثورة التي تمخضت عنها تلك النهضة - الثورة العرابية التي تعاطف معها البارودي ونفي بسببها بعد أن فشلت- ولحياته في المنفى التي استمرت سبعة عشر عاما، قال خلالها أجمل شعره وأحفله بالعواطف الإنسانية والتعبير الشجي والتأمل الحزين.

وهكذا كانت حياة البارودي في صفحتيها: اندفاعًا وراء المثل الأعلى وامتلاء بالطموح منذ تخرجه في المدرسة الحربية، فلمعان اسمه ياورا للخديو، فوزيرا، فرئيسا للوزراء. وانعطافا إلى مهوى الغربة والنفي، أو صلوات الحكمة والحب، ونفثات الشكوى والاسترحام.

ولم يفته- خلال سنوات الغربة- أن يعكف على روائع التراث الشعري، وأن يتوقف طويلاً - بالتأمل والنظر والمراجعة- أمام عيون الشعر العباسي لدى أعلامه الكبار: ابن الرومي وأبي تمام والبحتري والمتنبي والمعري، فضلا عن بشار بن برد وأبي نواس وأبي العتاهية ومسلم بن الوليد وابن المعتز وغيرهم، وأن يختار منها سجلا حافلا أسماه: "مختارات البارودي" شهادة على ذوقه، وتحديا لشاعريته التي أراد لها أن تطاول القمم، فكان له ما أراد.

وهذه القصيدة واحدة من بكائياته التي قالها وهو في منفى في سرنديب - سريلانكا الآن - يحن فيها ويتشوق إلى مصر، ويبكي صديقيه الأديبين: حسين المرصفي، وعبدالله باشا فكري.

يقول البارودي:

أين أيام لذتي وشبابي ... أتراها تعود بعد الذهاب؟
ذاك عهد مضى وأبعد شيء ... أن يرد الزمان عهد التصابي
فأديرا عليَّ ذكراه، إني ... منذ فارقته شديد المصاب
كل شيء يسلوه ذو اللب إلا ... ماضيَ اللهو في زمان الشباب
ليت شعري متى أرى روضة النيل ... وذاتَ النخيل والأعناب
حيث تجري السفين مستبقاتٍ ... فوق نهر مثل اللجين المذاب
قد أحاطت بشاطئيه قصور ... مشرقات يلحن مثل القباب
ملعب تسرح النواظر منه ... بين أفنان جنة وشعاب
كلما شافهَ النسيمَ تراه ... عاد منه بنفحة كالمَلاب
ذاك مرعى أنسي، وملعبُ لهوي ... وجنى صبوتي ومغنى صحابي
لست أنساه ما حييت وحاشا ... أن ترانى لعهده غير صابي
ليس يرعى حقَ الوداد ولا ... يذكر عهدا إلا كريم النصاب
فلئن زال فاشتياقي إليه ... مثل قولي باق على الأحقاب
يا نديمي من سَرْنديب كفّا ... عن ملامي، وخليانى لما بي
كيف لا أندب الشباب وقد ... أصبحت كهلا في محنةٍ واغتراب
أخْلَقَ الشيبُ جِدَّتي وكساني ... خِلْعةً منه رثّةَ الجلباب
ولوى شَعر حاجبيّ على عيني ... حتى أطل كالهدّاب
لا أرى الشيء حين يسنح إلا ... كخيالٍ كأنني في ضباب
وإذا ما دُعيتُ صرت كأني ... أسمع الصوت من وراء حجاب
كلما رمتُ نهضة أقعدتني ... نيَّةٌ لا تقلُّها أعصابي
لم تدع صولة الحوادث مني ... غير أشلاءِ همَّةٍ في ثياب
فجعتني بوالديَّ وأهلي ... ثم أنْحتْ تَكرُّ في أترابي
كل يوم يزول عني حبيبٌ ... بالقلبي من فرقة الأحباب
أين مني "حسينُ" بل أين ... عبدالله ربُّ الكمال والآداب
مضيا غيرَ ذِكرةٍ وبقاءُ الذكر ... فخرٍ يدومُ للأعقاب
لم أجد منهما بديلا لنفسي ... غيرَ حزني عليهما واكتئابي
وتجنَّبتُ صحبة الناس حتى ... كان عونا على التُقاة اجتنابي
لا أبالي بما يقال وإن كنت ... مليئا بالرد كل جواب
قد كفاني بُعْدي عن الناس أني ... في أمان من غيبة المغتاب
فليقل حاسدي عليَّ كما شاء ... فسعي عن الخنا في احتجاب
ليس يخفى عليَّ شيء، ولكن ... أتغابى والحزم إلْفُ التغابي
وكفى بالمشيب وهو أخو الحزم ... دليلا إلى طريق الصواب
إنما المرء صورة سوف تبلى ... وانتهاء العمران بدءُ الخراب

قيثارة الشعر

الشاعر جوزف ابو طعان

القصيدة العصماء التي افتتح بها الشاعر جوزف ابو طعان الامسية التكريمية التي اقامها مجلس قضاء زحلة الثقافي في مركزه بزحلة بالمناسبة.
الى الشاعر الصديق جوزف صايغ عربون محبة وتقدير.

هادن العودَ والكنار المعلّقْ ... أيُّهُ اليومَ من بيانك أعمقْ!
ايُّ لحن يرفُّ في بال غرّيد ... ولونٍ يمور في حوض زنبقْ؟
ايُّ شدو يموجُ في فكر داوودٍ ... ولم يعتصر بقلب تمزّقْ؟
انّه الحبُّ ومضةٌ في رؤانا، ... إنّه الشوقُ بالصبابة اورقْ
انا منه أتيتُ، منه اغاريدي ... صلاةً الى السماواتِ تَسْمقْ
لا يعير التفاتةَ النور طرفًا ... إنْ هو النورُ لم يَرُقَّ ويقلَق.

كنتَه الشّعرَ، صار للنور فيضًا ... وارتيادًا على الملائك مطلقْ
كتته الشدوَ صادحًا عبقريًا ... يخفقُ الريشُ بالبديع المنمّقْ
بين غرب سماوْه من ضباب ... وشروقٍ ضياؤه بك اشرقْ
كتته الحبّ غازلاً من خيوط ... العين همسًا ومن حنان تدفّقْ
من عبير الشذا ومن الق ... الفجر دربًا الى الهناء المحقق
انتَ قيثارةٌ لبَدعٍ، وتوقٌ ... لجمال ربيعه يتألق
انتَ إن شئتَ أن تغنّيَ غنّتْ ... كل ورقاءَ في الفضاء وصفّقْ
جانحُ الطير واستقرّت عيونٌ ... عند شمسٍ بريقها الآن يصعق
يا سميرَ النجوم أطلقْ عنانًا ... في الرحاب الجنانِ واستلّ بيرق
وقُل الشّعرَ مستطابًا، غويًا ... وتغنّى، فالبدعُ هيّأ زورقْ...
حسبك الوشيَ لا الجمالات ابهى ... من نصيدٍ ومن نُضار ورونقْ
حسبك التيه في الشموخ المعلّى ... نهدةٌ تستوي، مع الارز ترمقْ
والاساليب في عناقٍ ووصل ... كالأراجيح في لقاء محرّقْ
والمعاني العجابُ زُهرُ المرامي، ... والمباني القلاعُ سكبٌ موثّقْ
والاماليد رائحاتٌ غوادٍ ... كالصبا تنطوي وكالريح تطلق

هي باريس، موطن الحبّ والفنّ ... وبابٌ الى الغوايات مُهرقْ
إنّ باريس في ضمير الاماني ... صوتُ حقٍّ هي التُحبُّ وتعشقْ
هو لبنانُ لا يقلّ شموخًا ... واعتلاء ومنعةً وتفوّقْ
هو لبنانُ بالريادة أولى ... حسبه الحرفُ، فوق باريسَ، أشرقْ

أمثال وحكم

١ - إن الطبيعة تلطف بنا لأنها جعلتنا نعثر على المعرفة حيثما أدرنا وجوهنا في العالم ... " دافنشى " .
٢ - إن الرجل الشجاع ... هو من يتحمل نتائج عمله ... " هتلر " .
٣ - خير الناس من فرج للناس بالخير ... " مثل عربي " .
٤ - العين تصدق نفسها والأذن تصدق غيرها ... " مثل ألماني " .
٥- للذهب ثمن ... لكن الحكمة ليس لها ثمن " مثل صيني .
٦ - الأصل الطيب ... لا يكذب أبدا ... " مثل فرنسي " .
١٦ غيري يعيش ليأكل وأنا آكل لأعيش ... « سقراط» .